

الوظيفة التنبيهية في وصايا لقمان من منظور التبليغ

الدكتورة: حورية رزقي

قسم الآداب واللغة العربية

كلية الآداب واللغات

جامعة بسكرة - الجزائر

Abstract:

This essay trays to give an idea about linguistic functions , this idea was studied by different schools , and theoreticians whose objective are communicating and reporting to affect receiver , The most prominent function of warming with its specific language form which help to warm the interlocutor.

This study helps in analyzing the function of warming in “ the commandment of luqman to his son “ according to the communicative theory in accordance with pragmatics .

الملخص:

تعددت وظائف اللغة في المنجز اللساني ، وتباينت مدارسها بتباين آراء أصحابها ، و غرض منظرها و التبليغ للتأثير في المتلقين ، و لعل ابرز هذه الوظائف في العملية التواصلية ، الوظيفة التنبيهية بمؤشرات اللغوية تفيد تنبيه المخاطب .

لذلك سعت هذه الدراسة الى تحليل الوظيفة التنبيهية " وصايا لقمان لابنه " في ضوء نظرية التبليغ وفق اللسانيات التداولية .

تمهيد

سعت اللسانيات في بداياتها إلى البحث عن الأدوات الإجرائية لتحليل اللغة وفق نظرة علمية مؤسّسة، تقود المتكلم والمستمع إلى فهم الحدّ اللساني المتعارف عليه، ولكن سرعان ما ظهر لعلماء اللغة أنّ الأبعاد الوظيفية للغة تجاوزت البعد التواصلية، ولم يعد منحصرًا في الكفاية اللسانية التي يمتلكها المتكلم، فظهرت مقاربات لسانية جديدة شكّلت منهاجا له آلياته وأدواته، أسهم في إبراز كوامن المواقف الاتصالية التي يرمي اللسان البشري إلى تحقيقها، ولعلّ أهمّ هذه المقاربات: اللسانية التداولية بوظائفها المتعددة، حيث تساعد الباحث على معرفة الظروف والملابسات والمؤثرات المحيطة بالموقف التفاعلي.

وعليه يتجه البحث إلى إبراز أهم عنصر في وظائف اللغة من خلال نظرية التبليغ، ألا وهي الوظيفة التنبيهية.

- فما هي أبرز هذه الوظائف؟ وما منطلقاتها الاستيمولوجية؟

- هل يسهم التبليغ في كشف المعنى الوظيفي للخطاب؟

- ما الأسس التي تركز عليها الوظيفة التنبيهية؟

- ما موقع الوظيفة التنبيهية في وصايا لقمان؟

ولعل الدراسة التطبيقية تميّط اللثام عن أهم الوظائف اللغوية بالإجابة عن هذه الأسئلة، وذلك اعتمادًا على المنهج الوصفي في إبراز الوظيفة التنبيهية المنضوية ضمن "وصايا لقمان لابنه" وتحليلها من منظور تبليغي.

فما هي الوظيفة؟

الوظيفة لغة: ورد في لسان العرب "معنى وظف: هي الوظيفه من كل شيء: ما يُقدّر له في كل يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب، وجمعها الوظائف، والوظف، ووظف الشيء على نفسه ووظفه توظيفاً: ألزمها إياه"¹.

وأما اصطلاحاً: "هي المنزلة التي يتبوؤها أي عنصر من عناصر الكلام، كالوحدة الصوتية، والوحدة الصرفية، والكلمة والتركيب، في البنية النحوية للملفوظ"².

وفي اللسانيات، " تعني الاتجاه اللساني الذي يربط دراسة العناصر اللغوية المختلفة (الأصوات، والكلمات، والتراكيب) بالوظيفة التبليغية، ثم انتقلت إلى اللسانيات التطبيقية، وتعليمية اللغات الحية بصفة خاصة"³.

وعليه فاللسانيات الوظيفية " هي دراسة العناصر اللغوية، من خلال وظيفة كل منها في الملفوظ ضمن عملية التبليغ، وفي المجال النحوي تتفق جلّ المعاجم على ربط الوظيفة بالوظيفة التركيبية، أي الوظيفة النحوية"⁴.

وفي بعض القواميس الموسوعية هناك من يبين المفهوم الاصطلاحي لكلمة الوظيفة بقوله: "هي من مبتكرات العالم اللغوي السويسري (دي سوسير *Ferdinand de Saussure*) حيث صرّح فيها بأنّ الدّور الأساس للغة هو أن تستعمل كأداة للتبليغ، وانطلاقاً من هذا اعتبر بعض أتباعه الموصفون بالوظيفيين، بأن دراسة اللغة تكمن في البحث عن الوظائف التي تؤديها عناصرها وأقسامها ونظامها"⁵.

وبنتبعنا للفظ (وظيفة) في معناها اللغوي والاصطلاحي رأينا أن دلالتها قائمة على الدور الذي يؤديه أي شخص، أو أي عنصر ضمن جهاز من الأجهزة. وهناك من وضع معاني بعض مشتقات (وظيفة)، نحو:

- موظف: كل من يؤدي وظيفة عمومية بصفة دائمة.
- وظيفي: وهي صفة دخلت معظم العلوم الطبيعية والإنسانية، حيث شاعت علوم أو أدوات تحمل هذه الصفة، كالطب الوظيفي، وعلم التربية الوظيفي، واللسانيات الوظيفية، والنحو الوظيفي.

- الوظيفية: وتطلق على المذهب الوظيفي في القرن العشرين، وتعدّ امتداداً للاتجاه العقلي...
- الوظائفية: وتطلق على كلّ ما اتسم بالطابع الوظيفي أو العملي.
- الوظائفية: هو الذي ينتمي إلى المذهب أو الاتجاه الوظيفي⁶.
وكل معاني هذه المشتقات وغيرها ذات طابع عملي وحيوي، ارتبط بتقديم منافع عامة للناس.

ولنا بعد هذا أن نبحث عن منطلقات الوظيفة في إطارها اللساني.

المنطلقات الابستمولوجية للوظيفة في الدرس اللساني

أجمع اللغويون بمختلف مشاربهم على تعدد وظائف اللغة، إلا أنّهم اختلفوا في تحديدها، وقالوا: "بأنّ دور اللغات في المجتمعات البشرية هو بالأساس تمكين مستعملها من التواصل فيما بينهم"⁷.

وأشاروا إلى أنّ الوظيفة الأساس للغة تكمن في بعدها التواصلية، حيث يؤدّي بطرق شتى ليعبّر عن المقاصد، وقد أشار (ابن جنّي) إلى هذا في تحديده للغة بقوله: "أما حدّها فإنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"⁸.

وبذلك فوظيفتها تعبيرية واتصالية بين بني البشر، ويتمّ نقل المعلومات في إطار التخاطب والتواصل عبر قنوات مختلفة؛ من صوت، أو كتابة، أو إشارة، أو إيماءة، كذلك استعمال رموز معيّنة لها دلالاتها، وعلى هذا الأساس ظهرت مدارس حديثة أشارت إلى بعض وظائف اللغة، وفي ظهورها دليل على محاولة إبراز خفايا اللغة، "لأنّ الفهم العميق للغة البشرية هو فهم لطبيعة العقل والمعرفة عند الإنسان، فاللسانيات ليست سوى واجهة ضمن عدد من المعارف والعلوم التي تتفاعل كلّها لفهم أعمق، وتحليل أدقّ، وتفسير أعمّ للظواهر اللغويّة"⁹.

ووفقا عند المنطلقات الاستيمولوجية لوظيفة اللغة عرفنا - في البدء - في موروثنا اللساني أن اللغة ظاهرة اجتماعية، لها حضورها في حياة الناس، ووظيفتها الإخبار والتبليغ، كما كان لأفكار وآراء (فرديناند دي سوسير) اتجاه في بيان وظيفة اللغة وأنها نتاج اجتماعي ونظام من العلامات، فما وظيفتها في الدراسات الحديثة؟

نحاول أن نستجلي بعض وظائف اللغة استنادا لما ورد عن منظريها بدءا بـ :

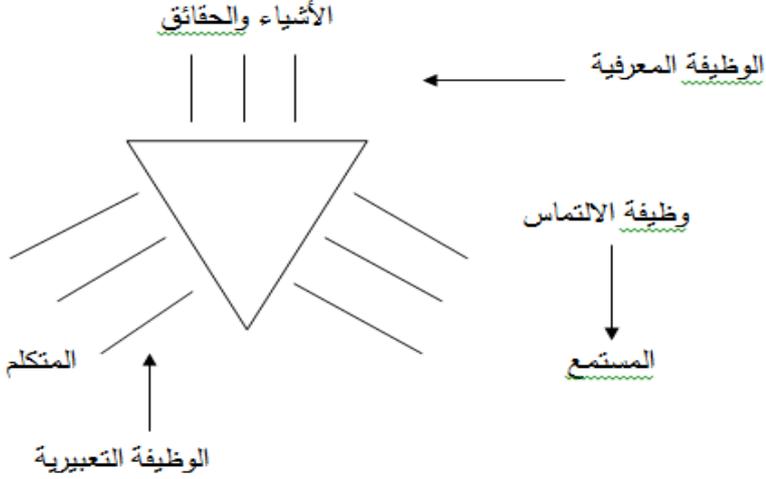
1 - وظائف اللغة عند بوهلر

وصّح العلم النفساني الألماني (كارل بوهلر Karl Bühler) وظائف اللغة وحدّها

بثلاث وظائف، هي:

- الوظيفة الانفعالية ← وتعلق بالمرسل أي المتكلم.
- الوظيفة الندائية ← وتعلق بالمرسل إليه أي المخاطب.
- الوظيفة المرجعية ← وتوجه إلى الغائب أي إلى الشخص أو الشيء المتحدّث عنه.

وبمعنى آخر فوظائف اللغة عند بوهلر تقابل منظور المتكلم، والمخاطب، والغائب على الترتيب؛ ألا وهي: الوظيفة المعرفية لتمثيل الحال، ووظيفة الالتماس لتوجيه الطلبات إلى المتلقين، والوظيفة التعبيرية للإفصاح عن تجارب المتكلم. ويوضح مخطط بوهلر الوظيفة الثلاثية للتواصل.



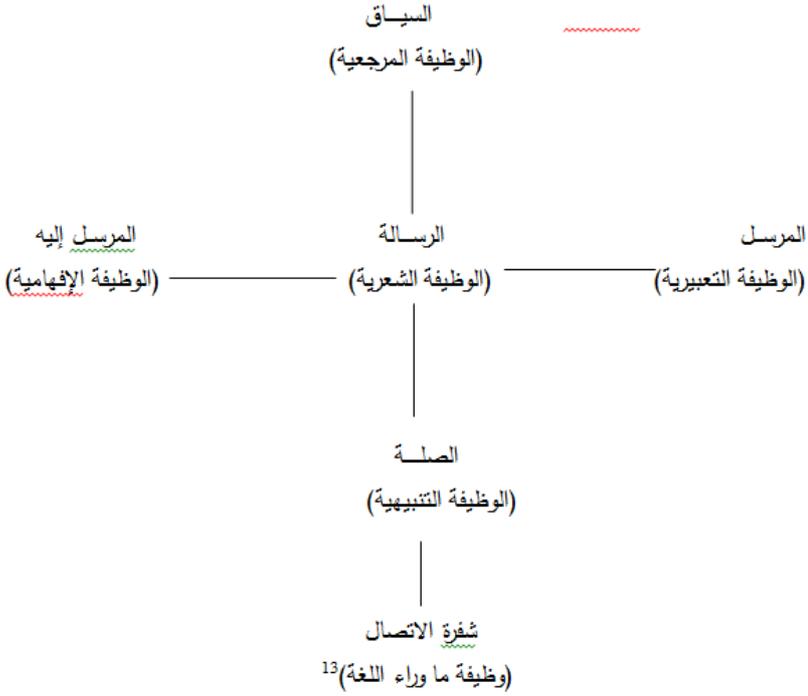
نموذج الأورجانون* لدى كارل بوهلر¹⁰

وترك بوهلر الأمر للمتخصصين للوصول إلى وظائف أخرى تدعم نموذج، وهذا ما توصل إليه تلميذه (كارل بوبر Karl Popper) عندما أضاف وظيفة رابعة، وهي وظيفة المحاجة، وعدّها أهمّ وظيفة تبليغية، لأنها تمكّن من النقاش النقدي، وتمكّن من صياغة النظريات الفكرية، وعليها يقوم المنجز الحضاري.

2 - وظائف اللغة عند جاكبسون

لقد حدّد (رومان جاكبسون Roman Jakobson) جوهر التواصل اللساني وجعله قائما بستة عناصر، هي على التوالي:
- المرسل: وهو الطرف الأول والأساس في عملية التّواصل، والمسؤول عن إرسال الرّسالة واختيار المرجع وقناة الاتّصال والشفرة.

- المرسل إليه: وهو الطرف الآخر في عملية التّواصل، والمستقبل لمضمون الرّسالة، والمسؤول عن عمليّة إنجاز التّواصل أو إفشاله.
- الرّسالة: وهي عبارة عن متتالية من العلاقات المنقولة بين المرسل والمرسل إليه بواسطة قناة تستخدم لنقل الشّفرة؛ أي هي مجموعة من قواعد وقوانين متّفق، يرسلها المرسل وتحيل على المرجع العام المشترك بين الطرفين.
- المرجع: يمثّل البيئة التي يحيل إليها الخطاب؛ أي ما يتحدّث عنه طرفا التّواصل.
- قناة الاتّصال: وهي متنوّعة تبعاً للوسائل المستعملة من قبل المرسل والمرسل إليه.
- الشّفرة: وهي الوسيط الحامل لمضمون الرّسالة¹¹.
- وينتج عن هذه العناصر المكوّنة لعملية التّواصل وظائف ستّ، بحسب الهدف المتوخّى إثر هذه العملية، وهي:
- 1 - الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية المركزية على المرسل *fonction expressive ou émotive*.
 - 2- الوظيفة الندائية *Conative* الموجهة نحو المستقبل.
 - 3 - الوظيفة المرجعية. *Référentielle*.
 - 4 - الوظيفة الانتباهية *Phatique* التي تقيم الاتّصال.
 - 5 - الوظيفة الماورا لغوية *Métalinguistique* التي تتعدى اللغة إلى تفسير الاصطلاح أو الشّفرة.
 - 6 - الوظيفة الشاعرية *Poétique* التي تركز على الوزن والإيقاع وكذا المصوتات¹².
- ونوضّح مخطّط جاكبسون كما يأتي:



ومما يلاحظ أنّ النّمودج التّواصلية عند (جاكسون) مبنيّ على أساس نظام التّواصل القائم على المرسل المنجز للكلام، والمرسل إليه مستقبل الرّسالة، والرّسالة ذاتها تحتاج إلى مرجع، وقناة اتّصال، ورمزة مشتركة كليّاً أو جزئياً بين المرسل والمرسل إليه تسمح بإقامة التّواصل والحفاظ عليه¹⁴.

3 - وظائف اللغة عند هاليداي

تساءل العالم اللساني (مايكل هاليداي Michael Halliday): لماذا كانت اللّغة على هذا النّحو الذي هي عليه؟ وكانت إجابته: أنّ طبيعة اللّغة تتّصل اتّصالاً وثيقاً بما نريده منها وهو الوظائف التي تقوم بها اللّغة من حيث هي نشاط اجتماعي لإشباع الرّغبات وتحقيق المتطلّبات، وحديثه عن الوظائف؛ أخذه إلى تتبّع مختلف النّصنيفات التي قام بها بعض العلماء لوظائف اللّغة¹⁵، ومنها توصل إلى وضع عدد من المهام التي تقوم بها اللّغة؛ وهي:

- 1 - **الوظيفة النفعية (الوسيلية):** وهذه الوظيفة هي التي يطلق عليها "أنا أريد"، فاللغة تسمح لمستخدميها منذ طفولتهم المبكرة أن يشبعوا حاجاتهم، وأن يعبروا عن رغباتهم.
- 2 - **الوظيفة التنظيمية:** وهي تعرف باسم وظيفة "افعل كذا، ولا تفعل كذا" من خلال اللغة يستطيع الفرد أن يتحكم في سلوك الآخرين لتنفيذ المطالب أو النهي، وكذا اللافقات التي نقرؤها، وما تحمل من توجيهات وإرشادات.
- 3 - **الوظيفة التفاعلية:** وهي وظيفة "أنا وأنت" تستخدم اللغة للتفاعل مع الآخرين في العالم الاجتماعي باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي، لا يستطيع الفكاهة من أسر جماعته، فنستخدم اللغة في المناسبات، والاحترام، والتأدب مع الآخرين.
- 4 - **الوظيفة الشخصية:** من خلال اللغة يستطيع الفرد أن يعبر عن رؤاه الفريدة، ومشاعره واتجاهاته نحو موضوعات كثيرة، وبذلك يثبت هويته وكيانه الشخصي، ويقدم أفكاره للآخرين.
- 5 - **الوظيفة الاستكشافية:** وهي التي تسمى الوظيفة "الاستفهامية" بمعنى أنه يسأل عن الجوانب التي لا يعرفها في البيئة المحيطة به حتى يستكمل النقص عن هذه البيئة.
- 6 - **الوظيفة التخيلية:** تتمثل فيما ينسجه من أشعار في قوالب لغوية، كما يستخدمها الإنسان للترويح، أو لشحن الهمة والتغلب على صعوبة العمل، وإضفاء روح الجماعة، كما هو الحال في الأغاني والأهازيج الشعبية.
- 7 - **الوظيفة الإخبارية (الإعلامية):** باللغة يستطيع الفرد أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه، بل ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة، وإلى أجزاء متفرقة من الكرة الأرضية، خصوصاً بعد الثورة التكنولوجية الهائلة. ويمكن أن تمتد هذه الوظيفة لتصبح وظيفة تأثيرية إقناعية؛ لحث الجمهور على الإقبال على سلعة معينة، أو العدول عن نمط سلوكي غير محبب.
- 8 - **الوظيفة الرمزية:** يرى البعض أن ألفاظ اللغة تمثل رموزاً تشير إلى الموجودات في العالم الخارجي، وعليه فإن اللغة تخدم كوظيفة رمزية¹⁶.
- ومما يلاحظ أنّ تعدد الوظائف ناتج عن تنوع آراء المنظرين وكثرتهم.

4 - وظائف اللغة عند التداوليين

توجّهت الدراسات الحديثة إلى فلسفة اللغة، حيث أصبحت اللغة موضوعا للبحث والدرس في الأدبيات الفلسفية، فتتوّعت صيغها واتجاهاتها؛ من اتجاه تحليلي إلى اتجاه تأويلي، إلى اتجاه تفكيكي، إلى اتجاه تواصلية، وهكذا...

فما وظيفة اللغة عند التداوليين؟

تتمثل وظيفة اللغة عند التداوليين في بعدها الاستعمالي، فهي لا تصف العالم أو تعبر عنه فقط، وإنما تعمل على تحويل الأقوال إلى أفعال وفق سياقات محدّدة، وفي ظروف معيّنة، ومنها تصبح الأقوال أفعالا بمجرد التلفظ بها،

" فهي تهتمّ بدراسة اللغة أثناء الاستعمال في الطبقات المقاميّة المختلفة"¹⁷.

وبما أن التداوليات لسانيات هدفها عملي، تهتم باللغة أثناء الاستعمال، فوظيفتها إذن منصبّة على وصف أفعال الخطاب وتفسيرها؛ مرتكزة في ذلك على مجموعة من القواعد أو الآليات، تتمثل في:

المعينات، وامتصّانات القول، والأفعال الكلامية، والحجاج، وغيرها، ومن أبرز منظرها:

(جون أوستين John Austin ، وجون سيرل John Searle، ويول غرايس H. Paul Grice)، حيث وضعوا نواة التداولية، ونشروا بحوثا فتحت آفاقا واسعة، فتولدت عنها أسئلة واهتمامات كانت مسوّغة للاعتراف بالتداولية بوصفها أحدث بحث أفرزته اللسانيات الحديثة.

ومن آلياتها الوظيفية: أفعال الكلام (Les actes de langage)، حيث أسس هذه النظرية الفيلسوف الإنجليزي (أوستين)، "فهو يرى أن وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار، إنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية"¹⁸.

وأفعال الكلام ما ينجزه المتكلم، فبمجرد التلفظ في سياق مناسب ينجز عملا، وتوظف في مواقف تعبيرية حسب سياق التلفظ، كطلب تنفيذ أمر ما، أو طلب الاعتذار، أو تمنّ، أو رجاء

وهكذا، وقد تتحقق هذه الأفعال وتكون موفقة، أو لا تتحقق فنقول أخفق المتكلم في إنجاز فعل القول.

وتتنوع الوظائف التبليغية في الدرس التداولي، وتتداخل المقامات، فتتضافر معاً لتحقيق المعنى.

وبعد ذكر مختلف الوظائف اللغوية، ومعرفة منطلقاتها الابدستيمولوجية، وأبرز منظرها، فما هي الوظيفة التنبيهية ضمن ما سبق؟

– الوظيفة التنبيهية

والتنبيه هو " أن تنبّه المخاطب على ما تحدّثه به، ولا يكون تنبيهها إلا إذا كان الأمر ذا أهمية بالنسبة للمخاطب، حتى لا يفوته المقصود نتيجة غفلته"¹⁹، وللتأثير في المتلقي لا بد من تحفيزه بمقدمات تجعله مستعداً لتلقي الخبر، يقول الجرجاني: "وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة غفلاً مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له"²⁰.

فالتنبيه في اللغة أعمق مما يفهم من إقامة الاتصال، ومن الدراسات التي تدلّ على أن وظيفة التنبيه لا تمتلك حدوداً حاضرة، أو بنية مستقلة، بل إنها تتداخل مع الوظائف الأخرى للغة مثل التعبيرية، والشعرية...²¹.

كما بين بعض الدارسين أن التنبيه لا يقتصر على الإشارات أو بعض الحروف، وإنما للتنبيه في العربية صلة بأساليب كثيرة، لعل أبرزها النداء، والدعاء، والتوكيد، والإشارة، والاستفهام، وأمور أخرى كثيرة²².

ولذلك فالوظيفة التنبيهية أو الانتباهية: يُقصدُ منها ربطُ الاتصال بين المتكلم والمُخاطبِ لاختبار مدى مرور الرسالة اللغوية جيداً بينهما، فالوظيفة اللغوية للتنبيه هي لفتُ الانتباه لاختبار حصول التواصل والفهم والإفهام، ويستعمل المتكلم أدوات لغوية لفت الانتباه واختبار الاتصال، كالمبتدأ والنداء والعرض والتخصيص وغيرها²³.

وتقابل في الوظائف الجاكسونية: قناة الاتصال، حيث ترتبط بها وتسهم في تسهيل التواصل بين المرسل والمرسل إليه، " والملاحظ أنه كثيراً ما يلجأ المتخاطبون إلى لفت انتباه بعضهم، وإثارة اهتمامهم بتوظيف مجموعة الإشارات والعبارات المسكوكة،... من أجل الإفصاح عن مواقف تواصلية معينة تهدف إلى إقامة الاتصال... لذلك كانت الوظيفة المرتبطة بذلك تنبيهية"²⁴.

وتترتب عنها الوظيفة الاتصالية، "وذلك عندما تحتوي المرسل على عناصر تهدف إلى التحقق من حسن سير الاتصال، أو حسن انتباه المرسل إليه، ويطلق عليها أيضا اسم الوظيفة الانتباهية، وهي ترتبط بقناة الاتصال، وهدفها الأساس إقامة الاتصال...²⁵"، لأن غاية المرسل أو المتكلم إثارة انتباه المرسل إليه بأي وسيلة، كما يسعى أن يقيه منتبها لمدة أطول والغرض تبليغه محتوى الرسالة، مستعملا ألفاظا وتراكيب تنبيهية، تعدّ الأسس التي ترتكز عليها هذه الوظيفة.

ويمكن استجلاء الوظيفة التنبيهية في المبحث الموالي:

الوظيفة التنبيهية في وصايا لقمان

تتخذ الوظيفة التنبيهية في وصايا لقمان لابنه أساليب متنوعة؛ كالتنبيه بالنداء، والتنبيه بالطلب، والتنبيه بالتوكيد، والتنبيه بضرب المثل، والتنبيه بالتشبيه، والتنبيه بالكتابة، والتنبيه بالتكرار، يقول الله تعالى في سورة لقمان:

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْتًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَدَّهُ فِي عَافِينَ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

يَبْدَتِي إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي
السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْدَتِي
أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ
إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تَصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي
الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي
مَشْيِكَ وَأَعْظُضْ مِّنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

(الآيات من 13 إلى 19 من سورة لقمان)

ومن أساليب التنبيه في وصايا لقمان:

1 - الوظيفة التنبهية الندائية

جاء في مستهل هذه الوصايا أسلوب نداء (يابني)، ويتكوّن من:

- أداة نداء ← (يا).

- لفظ البنوة مصعّر ← (بني).

و حرف النداء (يا) لنداء البعيد، وقد ينزل منزلة القريب، أو العكس لغرض طلب الإقبال والتنبه، وهذا خروج عن معناه الأصلي، ويتضح ذلك استنادا للقرائن المقامية والمقالية الواردة في سياق الخطاب.

و نداء لقمان لابنه تنبيهاً له لقرب مكانته منه، واقتارانه بلفظ مصعّر (بني) دلالة على المحبة، وإخلاص النصح، ليس بالضرورة أن يكون على "حقيقة التصغير وإن كان على لفظه، وإنما هو على وجه الترقيق"²⁶.

والبنوة فيه إظهار لعلاقة الأبوة، والبنوة لبنيان كمال صدق هذه الموعظة... لأنها وصية حكيم، وفيه إظهار لاسم لقمان بدل إضماره، لجمع كل أسباب الحكمة والصدق، والقبول في هذه الوصية، فهو لقمان الحكيم، ولقمان الأب²⁷.

وتتضح الوظيفة التنبهية في الجملة الندائية المتضمنة للوصايا التي وجهها لقمان لابنه، حيث استهلها بوصية التوحيد (لا تشرك بالله)، ثم علل خطورة الشرك وعاقبته ← (إن الشرك لظلم عظيم).

ومؤداه أنه:

اتَّبَعَ أسلوب التلطّف والتودّد ← شفقة ومحبة ← تحفيز الابن على الاستجابة. وتكرّر أسلوب النداء في هذه الوصايا المتضمنة للموعظة في قوله: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِنْتَقَالًا حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَبِيرٌ﴾. الآية 16.

وفي قوله: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾. الآية 17.

ووظيفة تكرار النداء أثناء الكلام للأهمية، ولتجديد نشاط المتلقي لفهم فحوى الخطاب. فتضمنت وصايا لقمان أسلوب النداء، وهو تنبيه السامع، لتبليغه رسالة هامة، والنداء فيه توجيه المخاطب للتواصل، والتقارب والتفاهم، واعتمده القرآن الكريم لتبليغ رسالة الإسلام. وأفادت الوظيفة التنبيهية من خلال أسلوب النداء التأثير في المتلقي، ومن ثم إقناعه، وهذا من خلال استعمال الكلمات الهادفة والمؤثرة، وهذا ما أشار إليه التداوليون بالفعل التأثيري.

2 - التنبيه بالطلب

من وسائل التنبيه بالطلب في الخطاب: التنبيه بالأمر، والتنبيه بالنهي، و سنركز على هذين الجانبين لورودهما في وصايا لقمان، فالتنبيه بالنهي، قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ الآية 13.

لا تشرك ← لا الناهية + فعل مضارع مجزوم.

والنهي هو أسلوب يُطلب به الكفُّ عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وله صيغة واحدة؛ وهي المضارع المقرون بلا الناهية، كالمثال السابق. وتتمثل الوظيفة التنبيهية في هذا المقام، الدعوة إلى التوحيد: لا تشرك بالله ← تنبيه على شدة بشاعة الشرك.

التنبيه على أن الشرك ظلم ← فيه تقرير على التعدي (على حق الله، وانقاص من حق النفس).

كذلك فيه تنبيه لما هو أهم وأعمّ: فتوحيد الله مقدّم على تأدية العبادات، فلا تنفع عبادة مع الشرك بالله.

أما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطْعَمُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ الآية 15.

فيه تنبيه: أن طاعة الوالدين ليست مطلقة، وتكون بـ:

مصاحبة الوالدين المشركين ← ببرهما وصلتهما.

المصاحبة ← الملازمة وعدم المقاطعة.

والنهي في قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ الآية 18.

لا تصعّر ← فيه نهي عن التعالي والتكبر.

والتصعير مرض يصيب الناقة فتلوي عنقها، "وتخصيص الخدّ تحديداً، لأنّ مصاعرته هي هيئة تتمّ عن الاستخفاف والاحتقار في غالب الأحيان"²⁸.

ولاتمش في الأرض مرحاً ← فيه نهي عن الكبر والتفاخر.

إنّ الله لا يحبّ كل مختال فخور ← تعليل للنهي السابق وتأكيد له.

وتفيد الوظيفة التنبؤية التخلّي عن الصفات الدّميمة، وهنا لا نقف عند المعنى الأصلي للنهي، ولكن نبحت بما وراء المعنى؛ ويُعرف في اللسانيات التداولية بالفعل المتضمّن في القول، أو الفعل الإنجازي، لأن وصايا لقمان لابنه ليست مجرد نصائح وإنما هي أقوال تهدف إلى الأعمال، فالتنبية حتّى على إنجاز عمل.

وبعد التنبيه بالنهي، انتقل إلى فحوى الخطاب ليرز ما سيطلبه منه مدعماً وصيّته بوظيفة أبلغ من سابقتها، ألا وهي وظيفة التنبيه بالطلب. لأنّ ما سيوصيه به عظيم. وأساليب الطلاب بالأمر في اللغة العربية أنواع منها:

1 - الطلب بصيغ مفردة، وتتضمن:

فعل الأمر ← افعّل.

والفعل المضارع المقترن بلام الأمر ← ليفعّل.

والمصدر النائب عن فعله للأمر ← نحو (فضرب الرقاب)، أي اضرب.

واسم فعل الأمر ← نحو (عليك بكثرة السجود)، أي الزم.

2 - الجمل المركبة في المنطوق تتضمن معنى الأمر، مثل:

- استعمال حروف الجرّ (اللام، وفي، وعلى)، نحو (في الغنم السائبة زكاة)، أي زكّوا.

- استعمال حروف التحضيض، مثل (ألا، ولولا...)، نحو (ألم أقل لكم لولا تسبحون)، أي سبحوا.

3 - الجمل المركبة في المفهوم تتضمن معنى الأمر، مثل:

- أساليب الدعاء الخبرية الماضية، والمضارعة، والمصدرية، نحو (بارك الله فيك)، أي لباركك، و(يرحمك الله)، أي ليرحمك، و(رحمة الله عليه)، لأي ليرحمه.

- أسلوب الإغراء، نحو (الأمانة، الأمانة)، أي أدوا الأمانة.

وغير ذلك من أساليب الطلب بالأمر التي تفيد التنبيه أثناء الخطاب.

ونجد التنبيه بالأمر في وصايا لقمان، في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ الآية 14.

ووصينا وتنبيهه إلى طاعة الوالدين وبرهما.

وفي تدعيم الفعل (وصى): تنبيه وإرشاد، حيث قال: (ووصينا)، ولم يقل وأوصينا، "وصى (بالتشديد) إذا كان أمر الوصية شديدا ومهماً، وهو تنبيه بالتدعيم، كذلك إسناد الوصية إلى ضمير التعظيم (ووصينا)، فالله تعالى ينسب أمور الخير، والأمور المهمة إلى نفسه"²⁹.

ونقف عند الفعل التأثيري في (وصى) لنستشف دلالة السنة الثابتة الصادرة عن الله - عز وجل - حيث تستدعي سرعة الامتثال، والتطبيق الفوري.

وما يلاحظ عبر مسير هذه الوصايا ذلك التنبيه المنطقي:

أولاً - التوحيد ← وهو أصل الوجود.

ثانياً - برّ الوالدين ← فهما سبب الوجود.

وفي قوله: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الآية 15.

وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ← تنبيه لاتباع نهج المصطفى - عليه السلام - فهو الجدير بالأسوة، وتحقيق بالاتباع.

قال الرازي: "واتبع سبيل النبي - عليه الصلاة والسلام - بعقلك، فإنه مربّي عقلك كما أن الوالد مربّي جسمك"³⁰.

فيه دعوة للاقتداء بالسلف الصالح، وهذا نهج المتعلمين.

وفي قوله: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ الآية 17.

ورد الطلب في الأفعال: أقم، وأمر، وانه، واصبر ← ← غرضها التنبيهي النصح والإرشاد.

كذلك فيها دعوة لتأدية العبادات المنوطة به، بدءاً:

بأهمّ عبادة بعد توحيد الله ← ← إقامة الصلاة ← ← عبادة خاصة بالفرد.

وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ← ← عبادة عامّة، خاصة بالجماعة.

فالوظيفة التنبيهية تجمع بين عمليْن يكملان بعضهما بعضاً، " فبالصلاة كُملت في ذاتك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنقل الكمال إلى غيرك، وفي ذلك كمال الإيمان، وفي عملك هذا تؤدي عملاً يعود نفعه عليك"³¹.

واصبر على ما أصابك ← ← تنبيه لما سيلحقه من ضرر جراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لذلك أمره بالصبر، مؤكداً درجة تحمّل الأذى لا يستطيعه إلا أصحاب الهمم العالية.

أما الوصية الموالية المتعلقة بالأخلاق، والآداب الخاصة، يقول الله تعالى:

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَأَصْوْتُ الْحَمِيرِ﴾ الآية 19.

جاء الطلب بالأمر في الأفعال: اقصد، وعضض.

اقصد في مشيك ← ← تنبيه لصفة الاعتدال ← ← بين الإسراع والإبطاء.

والقصد في المشي أمر نفسي، وهو دعوة إلى التأدب العام في الحركة والسلوك.

واعضض من صوتك ← ← التنبيه إلى خفض الصوت ← ← التوسط في الكلام.

فالوظيفة التنبيهية لهذا الطلب ← ← بيان سمت المتواضعين.

"والجمع بين المشي والصوت، وذلك لأنهما وسائل الإنسان وأدواته لتحقيق مطلوبه"³².

ثم أكد بجملة خبرية تنبّه إلى صورة منقّرة ← ← شبه رفع الصوت في غير حاجة بصوت الحمار.

صورة تستقبحها الآذان، لما فيها من تحقير وازدراء.

والقصد في تبليغه هذه الوصايا التحليّ بالآداب النفسية والسلوكيّة، وبها يتحقّق البناء

التربوي.

"فليست العبرة بالتحقق من الطريق، أو الوقوف على معالمه وتحديد مراسمه، بل لابد من السعي الجاد، والعمل المتواصل، والسير الحثيث على هذا الطريق، والثبات على هذا المنهج، والدعوة إليه، وسفينة النجاة لا يرتادها إلا من سعى لها حق سعيها"³³.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ الإسراء: 19.

خلاصة الدراسة

ما نستنتجه عقب هذه الدراسة، أن الوظيفة التنبيهية - في وصايا لقمان - حددت معالم البعد التبليغي للفعل التداولي، فتساوقت أسسها بين التنبيه الندائي، والتنبيه الطالب بشقيه الطلب بالنهي، والطلب بالأمر، فنبهتنا إلى أبعاد عملية تشكل منظومة من الثوابت والقيم الهادفة لبناء الإنسان وسط جماعته.

فالبعد التبليغي الذي يتضمن عبادة التوحيد وعبادة الصلاة؛ فهو بعد روحي، والذي يتضمن عواقب الشرك لما فيه من إهدار للعقل؛ فهو بعد عقلي معرفي، والذي يتضمن البرّ بالوالدين ومصاحبتهما؛ فهو بعد بيولوجي، والذي يتضمن إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر، والإرادة؛ فهو بعد سلوكي اجتماعي، وما تضمن من سمات شخصية كالاستقامة والاعتدال؛ فهو بعد أخلاقي.

فلاحظنا تنوع الوظيفة التنبيهية حيث ارتكزت على أسس التوجيه المباشر بالنداء، وبالنهي وبالأمر، وإن كنا أغفلنا التنبيه بضرب المثل، والتنبيه بالاستعارة والكناية...، وهذا اختصارا للدراسة.

الهوامش

- 1 - ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار الإحياء العربي، بيروت، ط2، 1997م، مادة [و. ظ . ف] المجلد التاسع، ص 358.
- 2 - صالح بلعيد، النحو الوظيفي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص 6.
- 3 - يحيى بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، مخطوط لأطروحة دكتوراه دولة في اللسانيات الوظيفية الحديثة، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، 2005 - 2006م، ص 24.

- 4 - المرجع نفسه، ص 23.
- 5 - Oswald Ducrot / Tzvetan Todorov ,Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, op- cit, p : 42 .
- نقلا عن يحيى بعيطيش ص 33.
- 6 - المرجع نفسه ص 24.
- 7 - أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية: قضايا ومقاربات، دار الأمان، مطبعة الكرامة، الرباط، ط1، 2005م، ص 25.
- 8 - ابن جني(أبو الفتح عثمان)، الخصائص، ج1، تحقيق: محمد علي النجار، علم الكتب بيروت، لبنان، ط2، 1983م، ص 33.
- 9 - مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتب الجديدة المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط1، 2010م، ص ص 14 - 15.
- * نموذج الأورجانون : معناه نموذج الأجهزة، حيث يشبه اللغة بالجهاز، ويعتبرها إحدى أجهزة الحياة.
- 10 - جيمس جوردن فينيليسون، يورجن هابرماس، ترجمة: أحمد محمد الروبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2015م، ص 49.
- 11 - مانفريد فرانك، حدود التّواصل - الإجماع والتّنازع بين هابرماس وليوتار، ترجمة وتقديم وتعليق: عز العرب لحكيم بناني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003م، ص 38.
- 12 - مصطفى ناصف، اللّغة والتّفسير والتّواصل، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافيّة شهريّة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد (193)، جانفي/1995م، ص 85.
- 13 - Roman Jakobson,Essais de Linguistique générale, t. Les fondations du langage, Paris, Ed. de minuit – 1963, p 222.
- 14 - رومان جاكسون، قضايا الشّعريّة، ترجمة: محمّد الولي ومازن حنون، دار توبقال، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1988م، ص 24.

- 15 - محمد أحمد نحلة، مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، الموقع الإلكتروني: أهل النص، 31. 12. 2013م.
- 16 - انظر: جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، سلسلة عالم المعرفة، عدد (145)، يناير 1990م، ص 20 وما بعدها.
- 17 - انظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م، ص 61.
- 18 - عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2003م، ص 155.
- 19 - فتح الله المصري، الأدوات المفيدة للتبني في كلام العرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 93.
- 20 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر، ط1، 1992م، ص 132.
- 21 - عبد الفتاح محمد، التبني في اللغة، جامعة البعث، حمص، سوريا، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن، العدد: 61، ديسمبر 2001م، ص 12.
- 22 - المرجع نفسه، ص 12.
- 23 - عبد الرحمن بودرع، منتدى اللسانيات العربية، الموقع الإلكتروني: <http://www.lissaniat.net>
- 24 - استراتيجيات وكفايات التواصل، عبد العزيز بنعيش، ص 5، مقال منشور على الموقع الإلكتروني: <http://www.cordocor.org/pdf>
- 25 - هيام كريدية، أضواء على الألسنية، الجامعة اللبنانية، بيروت، ط1، 2008م، ص 110.
- 26 - القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2005م، ج14، ص 59.
- 27 - انظر: حنان لحام، أضواء على سورة لقمان، دار الثقافة للجميع، دمشق، ط1، 1983م، ص 47.
- 28 - الطاهر بن عاشور، التحرير والتوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1984م، ج9، ص 122.

- 29 - فاضل السامرائي، نظرات بيانية في وصية لقمان لابنه، الموقع الالكتروني، إسلاميات: <http://www.islamiyyat.com>
- 30 - الرازي(فخر الدين محمد بن عبد الله)، مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ج9، 120.
- 31 - محمد متولي شعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، مصر، ط1، 1997م، ج12، ص 7276.
- 32 - الرازي، مفاتيح الغيب، ج9، ص 123.
- 33 - أحمد محمد الشرقاوي، يتيمة الدهر في تفسير سورة العصر، طيبة الدمشقية للطباعة والنشر، ط1، 2007م، ص 22.